

الفصل الرابع
بَاب زَوِيلَةَ

باب زويلة

(أثر رقم 199)

(482 هـ / 1089 م)

يقع هذا الباب في نهاية شارع المعز لدين الله وهو ينتصف سور القاهرة الجنوبي عند نقطة التقاء شارع تحت الربع بشارع الدرب الأحمر. وهذا الباب أنشأه بدر الجمالي سنة 482 هـ / 1089 م، وهو يقع جنوب باب زويلة القديم الذي أنشأه جوهر القائد سنة 358 هـ / 969 م وفي نفس محوره على بعد 150 مترًا من مكانه.

وفي أيام جوهر كان باب زويلة باين متلاصقين قال عنها المقرئزي: "كان باب زويلة عندما وضع القائد جوهر القاهرة باين متلاصقين بجوار المسجد المعروف اليوم بسام بن نوح⁽¹⁾، فلما قدم المعز إلى القاهرة⁽²⁾ دخل من أحدهما - وهو الملاصق للمسجد الذي بقى منه إلى اليوم عقد، ويعرف باب القوس - فتيامن الناس به وصاروا يكثرون الدخول والخروج منه، وهجروا الباب المجاور له، حتى جرى على الألسنة أن من مر به لا تقضى له حاجة"⁽³⁾.

واستطرد المقرئزي قصة الباب القديم وارتباطه بالتراث الشعبي فقال: "وقد زال هذا الباب ولم يبق له اليوم أثر، إلا أنه يفضى إلى الموضوع الذي يعرف اليوم بالحجارين، حيث تباع آلات الطرب من الطنابير والعيدان ونحوها، وإلى الآن مشهور بين الناس أن من سلك إلى هنالك لا تقضى حاجته، ويقول بعضهم: من أجل أن هناك آلات المنكر وأهل البطالة من المغنين والمغنيات، وليس الأمر كما زعم، فإن هذا القول جار على السنة أهل القاهرة من حين دخل المعز إليها قبل أن يكون هذا الموضوع سوقًا للمعارف وموضعًا لجلوس أصحاب الملاهي"⁽⁴⁾.

(1) من حسن الحظ أن هذا المسجد المعروف بمسجد سام بن نوح ما زال موجودًا إلى اليوم بعد توالي تجديده عبر الزمن ملاصقًا لسبيل محمد علي بالعقادين بالشارع الأعظم (شارع المعز لدين الله) بالقاهرة.

(2) دخل المعز القاهرة عن طريق باب زويلة يوم الثلاثاء السابع من رمضان سنة 362 هـ الموافق للعاشر من يونية سنة 973 م.

المقرئزي، اتعاظ الخنفا، ج 1، ص 134.

(3) الخطط، المجلد الثاني، ص 267.

(4) الخطط، المجلد الثاني، ص 268.

أبواب القاهرة الثلاثة (النصر، الفتوح، زويلة)

وعن إنشاء الباب الحالي ومنشئه وتاريخ انشائه وصفته قال المقرئزي: "فلما كان في سنة 485هـ/1092م⁽¹⁾ بنى أمير الجيوش بدر الجمالي، وزير الخليفة المستنصر بالله، باب زويلة الكبير الذي هو باق إلى الآن وعلاً أبراجه، ولم يعمل له باشورة⁽²⁾ - كما هي عادة أبواب الحصون من أن يكون في كل باب عطفة حتى لا تهجم عليه العساكر في وقت الحصار ويتعذر سوق الخيل ودخولها جملة - لكنه عمل في بابه زلاقة كبيرة من حجارة صوان عظيمة، بحيث إذا هجم عسكر على القاهرة لا تثبت قوائم الخيل على الصوان، فلم تزل هذه الزلاقة باقية إلى أيام السلطان الملك الكامل⁽³⁾ ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، فاتفق مروره من هناك، فاختل فرسه وزلق به وأحسبه سقط عنه، فأمر بنقضها فنقضت، وبقي منها شيء ظاهر⁽⁴⁾".

ويعلق المقرئزي عن حال الزلاقة في زمنه (توفي 845هـ/1442م) بقوله: "فلما ابنتي الأمير جمال الدين الأستاذار المسجد المقابل لباب زويلة⁽⁵⁾، وجعله باسم الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق، ظهر عند حفره الصهريج الذي به بعض هذه الزلاقة، وأخرج منها حجارة من صوان لا تعمل فيها العدة الماضية، وأشكالها في غاية من الكبر لا يستطيع جرها

- (1) يتضح لنا من النص التأسيس الذي كان منقوشاً حول الباب وسقط في القرن الماضي ونقله لنا المرحوم حسن قاسم في كتابه المزارات أن بدأ إنشاء هذا الباب كان في ربيع الآخر سنة 482هـ/1089م.
- (2) الباشورة عنصر معماري للدفاع كان يتقدم الأبواب عبارة عن جدر قائمة بينها ممرات، وينعطف الداخل خلالها يميناً ويساراً مرة أو عدة مرات، بغرض عرقلة هجوم من يحاول اقتحام باب القلعة أو الحصن، وتجعل العدو هدفاً سهلاً للمدافعين.
- (3) تولى الكامل مصر في جمادي الآخرة سنة 615هـ، وتوفي يوم 22 رجب سنة 635هـ.
- (4) الخطط، المجلد الثاني، ص 268.

- وهذا النص نقله المقرئزي عن ابن ميسر في كتابه أخبار مصر، ص 51.
 - (5) لا يزال هذا المسجد والسبيل الملحق به قائماً ومسجلاً ف عداد الآثار الإسلامية بالقاهرة برقم 203، وتاريخ بنائه سنة 811هـ/1408م، وهو يعرف باسم زاوية الدهيشة، وقد تم فكّه وإعادة بنائه إلى الخلف من موضعه في عام 1922م لتوسيع شارع تحت الربيع.
- تعليق أيمن فؤاد سيد علي الخطط، المجلد الثاني، ص 269.

أبواب القاهرة الثلاثة (النصر، الفتوح، زويلة)

إلا أربعة أرؤس بقرن فأخذ الأمير جمال الدين منها شيئاً⁽¹⁾، وإلى الآن حجر منها ملقى تجاه قبو الخرانشف من القاهرة⁽²⁾."

ومنشئ باب زويلة هو أبو النجم بدر الجمالي الذي تولى الوزارة للخليفة الفاطمي الإمام المستنصر بالله فيما بين جمادي الأولى 465هـ / يناير 1074م وربيع الآخر سنة 487هـ / مايو 1094م وهو تاريخ وفاته، وهو أول وزير فاطمي يتولى وزارة السيف القلم وأول من حجر على الخلفاء⁽³⁾.

أما عن **تاريخ انشائه** فيتضح لنا من النص التأسيسي له التالي أنه بُدأ في انشائه في ربيع الآخر سنة 482هـ / يونية 1089م، ومثل هذا الباب الضخم قد يستغرق بناؤه نحو العام⁽⁴⁾.

النص التأسيسي للباب:

من حسن حفظنا أن المرحوم حسن قاسم نقل لنا في كتابه المزارات النص التأسيسي لهذا الباب الذي كان منقوشاً بأعلاه محيطاً به وهو:

"بسم الله الرحمن الرحيم. نصر من الله وفتح قريب. لعبد الله ووليه أبي تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صوت الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين أمر بعمارة هذا الباب باب السعد السيد الأحل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة

(1) يعلق محمد عبد الستار بقوله: "ومن طريف ما يذكر بهذا الخصوص أن السلم الخارجي لمسجد فرج بن برقوق الذي أنشأه في الأصل جمال الدين الاستادار لنفسه ثم وهبه للسلطان فرج تجاه باب زويلة بني من بعض أنقاض هذه الزلاقة وهو أمر انعكس في تسجيل الموثق له في وثيقة وقف هذا الأثر رقم 106 المحفوظة بدار الوثائق القومية، فوصف السلم بالزلاقة لا لأن شكله كان في هيئة زلاقة ولكن لأنه بني ببعض الأحجار الضخمة التي كانت من أنقاض زلاقة باب زويلة بعد أن أنقضها الملك الكامل". موسوعة العمارة الفاطمية، ج 1، ص 117.

(2) الخطط، المجلد الثاني، ص 269.

(3) انظر ترجمته بالتفصيل عند الكلام عن باب الفتوح.

(4) حدد ابن ميسر تاريخ انشاء هذا الباب سنة 485هـ / 1092. انظر:

المنتقى من أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد، نشر المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ص 51.
*وعن ابن ميسر نقل كل من المقرئ في هذا التاريخ في الخطط، المجلد الثاني، ص 268، القلقشندي في صبح الأعشى، ج 3، ص 364.

أبواب القاهرة الثلاثة (النصر، الفتوح، زويلة)

المسلمين وهادي دعاة المؤمنين عضد الله به الدين وشد عضده بولده الأجل الأفضل سيف الإمام جلال الإسلام شرف الأنام ناصر الدين خليل أمير المؤمنين زاد الله في علاه وامتع المؤمنون بطول بقائه في شهر ربيع الآخر سنة اثنين وثمانين وأربعمائة".

أما النص الآخر الذي كان يعلو عقده فقد عثر هرتز على بقايا منه في سطرين بعد إزالة طبقة سميكة من الجص كانت تغطيه، وهذا النص كان محصوراً في إطار مستطيل يشغل الخمسة مداميك أعلى العقد الخارجي الكبير⁽¹⁾، وما وجدته في سطرين هو جزء من الشهادة بالصيغة الشيعية وجزء من آية الكرسي نصها: .. لا شريك له محمد رسول الله على ولي الله صلى الله عليهما وعلى الأئمة ذريتهما أجمعين الله لا.. مه إلا بها شاء.. لرئيسه ال..

وهذا النص التأسيسي هو ما شاهدته وذكره المقرئزي والذي كان يتضمن اسم أمير الجيوش والخليفة المستنصر وتاريخ انشائه⁽²⁾.

اسم الباب:

يعرف هذا الباب باسم باب زويلة، بفتح الزاي وليس ضمها كما نطقها، حسبما ضبطها ياقوت الحموي في معجم البلدان، نسبة إلى قبيلة زويلة المغربية التي أتت مع القائد جوهر أثناء فتحه مصر، وأقطعها حارة باسمها بالقاهرة لتسكن فيها، هي المعروفة اليوم باسم حارة اليهود بباب الشعرية بالقاهرة، بالإضافة إلى نزولهم أيضاً جنوب القاهرة حيث البابين بسورها الجنوبي اللذين عرفا باسم بابي زويلة.

ولما أعاد الوزير بدر الجمالي أيام الخليفة الإمام المستنصر بالله بناء أسوار وبوابات جديدة للقاهرة فيما بين سنتي 480 و 485هـ الموافقة لسنة 1087 و 1092م، أطلق بدر أسماء جديدة لبوابات القاهرة شملها النص التأسيسي لها، فسمى باب الفتوح باسم باب الإقبال، وباب النصر باسم باب العز، وباب البرقية باسم باب التوفيق. أما باب زويلة فالاسم الجديد الذي أطلقه بدر الجمالي عليه هو "باب السعد" الذي تعرفنا عليه من خلال النص التأسيسي له الذي نقله لنا العلامة المرحوم حسن قاسم في كتابه المزارات.

(1) كراسة 14 من كراسات لجنة حفظ الآثار العربية لسنة 1897م، ص 208، لوحة 10.؛ كرزويل، العمارة الإسلامية في مصر، ص 172-173، 209.

(2) الخطط، المجلد الثاني، ص 270.

أبواب القاهرة الثلاثة (النصر، الفتوح، زويلة)

وهذه الأسماء الجديدة لم يستعملها أي أحد من المؤرخين حيث ظلت الأسماء القديمة للأبواب حية في وجدان الناس وكتابات المؤرخين.

نقل ابن إياس عن ابن الأثير أن باب زويلة عرف أيامه -أي في أوائل أيام الدولة الأيوبية- باسم باب الفاضل⁽¹⁾، وترجع هذه التسمية آنذاك بسبب بناء القاضي الفاضل لقيسارية حل محلها الآن وكالة نفيسة البيضا على يمين الداخل من باب زويلة.

إلا أن باب زويلة عرف في العصر العثماني باسم بوابة المتولي، ولا ندرى بالضبط متى حدث ذلك؟، وظل هذا الاسم غالبًا على الباب حتى يومنا هذا. واجتهد الدارسون في تفسير سبب تلك التسمية، فمنهم من يفسر أن الاسم ارتبط بشيخ يدعى "القطب المتولي" يقال أنه كان قادرًا على الاختفاء وأنه كان يتمتع بقوى خارقة، كان يتخذ من المكان مقرًا له، وذكر علي باشا مبارك أنه كان يوجد بالمشهد الحسيني بالقاهرة باب بجوار القبة عرف أيضًا باسم باب المتولي، ويقولون أن القطب يدخل منه كل يوم لزيارة الضريح الشريف ويدعو الزائرون عنده كثيرًا⁽²⁾.

مثلما هو الحال في رحبة باب الفتوح بالقاهرة حيث يعرف القبر الذي هناك باسم قبر الشيخ الساعي، ونرى قبورًا كذلك في بوابات حلب وأنطاكية وقنسرين وغيرها⁽³⁾. ويرجع الباحثون المحدثون سبب تلك التسمية لأن متولي الحسبة كان يجلس عند باب زويلة لتحصيل الضرائب والإشراف على السقائين ومراقبة السوق، وكان هو وأعوانه يتخذون من الطابق العلوي للباب مقرًا لهم، وهذا الرأي رغم وجاهته لا يوجد دليل على صحته.

أما أرتين باشا فيرجع التسمية إلى طومان باي الذي عرف عند العامة باسم المتولي؛ أي الحاكم عندما ولاه عمه السلطان الغوري نيابة البلاد أثناء الصراع مع العثمانيين سنة 922هـ/1516م⁽⁴⁾، وهو تفسير جانبه الصواب لأن لقب طومان باي حينئذ هو "النائب" أو "نائب السلطنة" وليس المتولي كما يدعي أرتين باشا.

(1) ابن إياس، بدائع الزهور، ج 1، ق 1، ص 242.

(2) الخطط التوفيقية، ج 4، ص 186.

(3) العمارة الإسلامية في مصر، ص 215.

(4) كريزويل، العمارة الإسلامية في مصر، ص 215.

أبواب القاهرة الثلاثة (النصر، الفتوح، زويلة)

وسيقتى سبب التسمية محل اجتهاد إلى أن يتوصل أحد الباحثين إلى سبب ذلك مدعماً بدليل قوي.

مادة بناء البوابات واسلوب البناء:

بنى باب زويلة وغيره من أبواب القاهرة بالحجر الجيري، وكانت الأساسات توضع فوق طبقة من الرمال الصفراء، والأساسات عبارة عن دكة من الأحجار الضخمة، تعلوها جدران عريضة وجوهها الخارجية من أحجار مستوية بينما حشى داخلها بالدبش، وكانت المونة المستخدمة جير مع نسبة ضئيلة من الرمل والقصرمل.

ويبلغ متوسط ارتفاع المداميك في الجزء الأسفل من البرج 54سم، وطول كل حجر ما بين 90سم و 1,20 متر، وفواصل حجرية بينها تتراوح بين 35 و 28 سم، وكما فعل المعمار ببرجي النصر والفتوح دعم برجي البوابة هنا بمجموعة من الأعمدة المدفونة أفقياً كروابط تجري حول البرجين ورد هبة البوابة عند الصف السابع من مستوى الأرضية، واختلفت مداميك باب زويلة عن مداميك بابي النصر والفتوح في أن حواف مداميكها غير مشطوفة⁽¹⁾.

الوصف المعماري:

يتشابه باب زويلة مع باب الفتوح كثيراً، إذ يتكون إجمالاً من برجين كبيرين مصمتين حتى ثلثي ارتفاعهما، للدفاع عن باب متوج بعقد مقنطر ضخم وضع بينهما، ويوجد خلف الباب رحبة مسقوفة بقبة ضحلة محمولة على مثلثات كروية، ويعلو الباب منصة كبيرة مفتوحة على كل أضلاعها عدا الجنوبي، وتمر فوقها ثلاثة عقود، العقدان الخارجيان منها يؤديان إلى حجرات في الأجزاء العليا من البرجين، ويؤدي العقد الأوسط إلى المنطرة المنيبية فوق البوابة، وفي أعلى الحجرتين والمنطرة المنيبية نجد منصة ثانية تتوجه الشرافات ويقوم عليها سلم في الركن الشمالي الشرقي منها⁽²⁾. (لوحة 20).

ويبلغ طول واجهة باب زويلة المطلة على الطريق 25,72 متراً، وارتفاعه 23,70 متر من مستوى الأرضية الأصلية حتى قمة الشرافات، وعمقه 22,36 متر (شكل 665) و (لوحة 19).

(1) كريزويل، العمارة الإسلامية في مصر، ص 207.

(2) كريزويل، العمارة الإسلامية في مصر، ص 207.

أبواب القاهرة الثلاثة (النصر، الفتوح، زويلة)

وبرجي البوابة مستطيلان بواجهتين مقوستين، يرتكزان على قاعدتين مستطيلتين ارتفاع كل منهما 1,19 متر ومهما غفل من أية حلية، ويحيط بالجزء العلوي من الواجهة المنحنية من كل برج الذي كان يمثل حجرة إطار ملتف حوله ما عدا الجزء السفلي ويبدأ الإطار من الجانبين بكابولين ويتصف الإطارين أعلى منطقة مستطيلة يتصفها من أعلى هيئة عقد مدبب. ويحتوي هذا الجزء على ثلاثة مزاغل.

وقد زين الجانبان الداخليان للبرجين تجاه المدخل بدخلات ضحلة (لوحة 17، 18)، ففي كل جانب دخلتا كبيريان معقودتان إحداهما داخل الأخرى، وبداخلهما دخلة ثالثة أصغر ذات عقد ثلاثي مفصص، الثلث العلوي مدبب الشكل والثلثان الجانبيان صغيران عنه وهما نصفي دائريين يرتكزان على كابولين جانبيين على شكل ربع دائرة يمتزجان بالعقدين. ويتكون العقد العلوي من تسع صنج بينما يتكون كل من العقدين الجانبيين من خمس صنج، ويتميز العقد العلوي بحافته المروحية الشكل، في حين أن العقدين الجانبيين يفتقران إلى هذه السمة، لكن صنج العقود الثلاثة جميعاً تتميز بحافتها ذات الطرف المستدق المزدوج، والصنجة المفتاحية بالعقد العلوي مزخرفة بجامة بسيطة لكنها مؤثرة، فتتكون نجمة من ثمانية صفوف على أثر تداخل الدوائر الثمانية الدائرية، وهي تشبه الجامات التي نراها على تروس باب النصر والتي تتكون من ستة فصوص فقط، وتحت قمة هذا العقد مباشرة نجد جامة جميلة أساسها نجمة ثمانية متداخلة مع زهرة عباد الشمس في الوسط⁽¹⁾، وقد علق فوق الدخلة ذات العقد المفصص بالبرج الغربي كرة حديدية كبيرة مثبتة في عصا حديدية، كما علق كرتان أصغر بينهما قضيب، وعلق في الوسط قطعة حديدية على هيئة أسطوانة صغيرة⁽²⁾.

(1) كريزويل، العمارة الإسلامية في مصر، ص 208.

(2) اختلف الباحثون في سبب وجود هذه الأدوات الحديدية التي تعلق على أبواب الحصون والقلاع، فيرى كريزويل أنها أدوات رياضية، بينما يرى محمد عبد الستار أنها أدوات كانت تستخدم في ضرب محاولات تسلق الحصون. وأنا أرى أنها مجرد رمز للقوة تعطى تأثيراً نفسياً للهار عليها بعظمة هذه المنشآت شأنها في ذلك شأن نقش الدروع والسيوف بباب النصر الذي يعطى نفس الانطباع.

أبواب القاهرة الثلاثة (النصر، الفتوح، زويلة)

وقد فتح المعمار فوق كل دخلة من الدخلتين الكبيرتين نافذة لها مصبغات نحاسية لإضاءة وتهوية الحجره فوق كل برج. وهناك شريط جصي ضيق عرضه 23 سم يجري في أعلى البرجين وواجهه البوابة وهي مزخرفة بأشكال الجدائل.

ويحيط بالوجهة المنحنية لكل من البرجين إطار مستطيل بدون حلية يرتكز على زوج من الكوابيل وحوافه العليا على نفس مستوى قمة الدخلات الخارجية المعقودة على الجانبين. والجزء الأول من هذا العقد بدون حلية، ويرتفع خلال تسعة صفوف ثم ينعطف بزاوية يمينى ويجرى طول الصف العاشر، هذا الجزء وسائر الأجزاء كلها مزخرفة، ثم ينعطف مرتين أخريين بزوايا يمينى ليشكل إطاراً معقوداً مدبباً⁽¹⁾.

أما الجانبان الخارجيان للبرجين فقد تغيرت معالمها مع الزمن لبناء منازل ملاصقة لهما، وقد كان بكل جانب من أعلى فتحة مزغل تخص الحجره فوق كل برج.

ويعلو قمة البرجين والجدار فوق البوابة الواصل بينهما صف من الشرافات ذات القمة التي على هيئة نصف دائرة، ليست أصلية وإنما هي من عمل لجنة حفظ الآثار العربية عندما جدت جامع المؤيد شيخ⁽²⁾.

وينحصر بين البرجين من الداخل رحبة مربعة غير مغطاه يبلغ طول ضلعها حوالي 9,17 متر، وتستدق الرحبة بزوايا منكسرة نحو الباب ليبلغ اتساع فتحة الباب 4,84 متر وهو نفس مقاس فتحة باب الفتوح تماماً، ويغلق على فتحة الباب مصراعان خشبيان كبيران مصفحان بأشرطة حديدية مثبتة بمسامير البرشام. وكان يتوج فتحة الباب عتب مفقود حالياً⁽³⁾ ويتوجها الآن مباشرة عقد من 15 صنجة معشقة ما عدا الجانبين، وهي أفقية في أعلاها ومنحنية من أسقلها، ويلى ذلك العقد طيلة من ثلاثة صفوف من المداميك يحيط لها عقد مدبب مكون من 18 صنجة.

ويتقدم أعلى واجهة فتحة الباب عقد نصف مستدير جمع المعمار في بنائه بين الصنجات المعشقة والصنجات العادية.

- (1) كرزويل، العمارة الإسلامية في مصر، ص 209.
- (2) كرزويل، العمارة الإسلامية في مصر، ص 209.
- (3) عاصم رزق، أطلس العمارة الإسلامية والقبطية بمدينة القاهرة، ج 1، ص 518.

أبواب القاهرة الثلاثة (النصر، الفتوح، زويلة)

وفوق هذا العقد الخارجي الكبير نجد خمسة صفوف من مداميك البناء، وفي هذا الموضوع كان هرتز قد عثر على بقايا سطرين من النقوش الكوفية كانت مخفية تحت طبقات من الجص في أثناء تنظيف الواجهة عام 1897م، وكانت الكتابات تحتوي على الشهادة الشيعية وعدة كلمات من آية الكرسي وقد رآها كريزويل⁽¹⁾ ولكنها مفقودة الآن، وهذا النص التأسيسي هو ما رآه المقرئزي وذكر أنه يتضمن اسم بدر الجمالي والخليفة المستنصر وتاريخ البناء. ويتوج هذا البناء إطار فتحة معقودة نصف دائرية تمثل واجهة الليوان (المنصة) الذي بين الحجرتين اللتين تعلوان البرجين، وقد وزعت فتحات السهام بالحجرتين في الواجهة والجانبين بنفس هيئة الحجرات في بابي النصر والفتوح⁽²⁾.

وكان يغطي كل حجرة قبو متقاطع خرقة معمار السلطان المؤيد شيخ لبناء مؤذنتي جامع المؤيد سنة 818هـ/ 1415م أعلى الجزء المسط من بناء البرجين والذي يمثل أرضية كل من هاتين الحجرتين. ثم يرتفع البناء فوق عقد الليوان مدامكين ليتوج بصف من الشرفات ذات القمة المعقودة والتي تمتد أيضًا أعلى البرجين، وهذه الشرفات من أعمال لجنة حفظ الآثار العربية.

هذا ويوجد فاصل بين بناء العقد الخارجي والبناء الذي يعلو فتحة الباب، وهذا الفاصل عبارة عن شق يعلوه فتحات أو سقاطات لقذف الأعداء بالسهام والرماح وسكب السوائل المغلية، وهو نموذج لما يوجد أيضًا ببابي النصر والفتوح. وتؤدي فتحة الباب إلى مجاز مستعرض متوسط أبعاده 15,6 × 3 متر يستند على جانبيه مصراعا الباب عند فتحها مثلما هو قائم ببابي النصر والفتوح، وهذا المجاز مغطى بقبو أسطواني طوله 3,10 متر⁽³⁾.

ونصل من هذا المجاز المستعرض إلى الرحبة الداخلية لباب زويلة وهي مستطيلة المسقط حيث يبلغ طولها من الشمال للجنوب 10,38 متر وعرضها من الشرق إلى الغرب 7,58 متر، ويغطيها قبة ضحلة ضخمة تطابق قبة باب الفتوح وقطرها 7,58 متر ترتكز على

(1) العمارة الإسلامية في مصر، ص 209.

(2) محمد عبد الستار، موسوعة العمارة الفاطمية، ج 1، ص 122.

(3) كريزويل، العمارة الإسلامية في مصر، ص 210.

أبواب القاهرة الثلاثة (النصر، الفتوح، زويلة)

مثلثات كروية بنفس درجة انحناء القبة وبالتالي فهي شديدة الضحالة، وفي وسطها صنجة مفتاحية تحيط بها 13 صنجة نحتت حلزونياً.

وعلى الجانب الشرقي للرحبة نجد دخلة مستطيلة اتساعها 4,62 متر وعمقها 2,50 متر ويغطيها من أعلى عقد نصف دائري به حنايا ركنية تعلوها هيئة طاقية، وهناك حلقة بارزة جميلة تشبه نظيرتها برحبة باب النصر وتجري أعلى جوانب الرحبة. أما على الجانب الغربي للرحبة فقد حدث تعديل على الدخلة التي كانت تماثل الدخلة الشرقية أثناء بناء جامع المؤيد شيخ حيث جعل المعمار بهذا الجانب شبك لإيوان كان يجلس به المؤيد شيخ ليشاهد موكب المحمل عند مروره من باب زويلة، وهذا الشباك مغشى بمصبغات نحاسية ويتوجه عتب حجري يعلوه عقد عائق بينهما نفيس ويكتنف الشباك عمودان، ويوجد أسفل الشباك بائكتان حولت لدكانين الآن، ويعلو هذا الجانب صدر مقرنص من ثلاث حطات من المقرنصات وبسبب هذا التعديل المعماري اختفت الحلبة التي كانت تجري في أعلى هذا الباب، والإيوان الذي يطل على هذا الجانب بالشباك طوله 7,50 متر وعرضه ناحية الشباك 3,44 متر و 3,32 متر في آخره وهو مغطى بقبو اسطواني، وتوجد دخلة في ضلعه الشمالي تنتهي بباب حالياً.

وتطل الرحبة على المدينة بفتحة كبيرة معقودة من أعلاها بعقد نصف دائري تبلغ المسافة بين دعامتيه 7,58 متر وعرضه 1,82 متر، ويمد الضلع الشمالي للقبة بدعامة، ويتكون من 27 صنجة بكل منها تعشيقه بارزة واحدة وهناك حلبة رائعة بها ميزابان تجري عبره⁽¹⁾.

أما الطابق العلوي لهذا البوابة فيصعد إليه عن طريق باب في الطرف الجنوبي لجدار قبله جامع السلطان المؤيد شيخ، يؤدي الباب إلى سلم حجري ينتهي إلى سطح الجامع وإلى مئذنتيه، وفي حنية بالجدار الشرقي لهذا السلم توجد لوحتان رخاميتان متشابهتان بكل منهما كتابة نسخية من ثلاث أسطر نصها:-

1- هنا كانت نقطة تلاقي باب زويلة بسور القاهرة بناء الأيوبيين⁽²⁾ وقد هدم سنة ثمانية.

(1) كرزويل، العمارة الإسلامية في مصر، ص 210.

(2) هذا الجزء بناء الفاطميين وليس الأيوبيين.

أبواب القاهرة الثلاثة (النصر، الفتوح، زويلة)

2- عشر وثمانمائة بسبب بناء الجامع المؤيد وتماه عام أربعة عشر وثلثائة وألف بمعرفة لجنة حفظ.

3- الآثار العربية في عصر الخديوي الأعظم عباس حلمي الثاني الأفخم أدام الله أيامه أمين.

ومن خلال سلم هابط من سطح الجامع يتم الوصول إلى الطابق العلوي لباب زويلة⁽¹⁾. ونصل إلى مساحة مستطيلة مكشوفة طولها 23,75 متر وعرضها 11,66 متر، وبالجانب الجنوبي منها نرى الواجهة الشمالية للبرجين والبوابة بينهما، وبهذه الواجهة ثلاث فتحات كبيرة، الوسطى تبلغ 4,90 متر لها عقد نصف دائري ضخم فوقه جمالون حجري، ويؤدي إلى المنطرة المغطاة بقبو متقاطع وواجهتها الجنوبية مفتوحة وهي نصف دائرية وبحافتها الشرافات وخلفها مباشرة سقاية.

أما الفتحتين الجانبيتين فتؤدي كل منهما إلى دخلة نصف دائرية فوقها نصف قبة وفتح بجنوبها فتحة تؤدي إلى الحجرة التي تعلو البرج والتي كان يغطيها قبو وفتح معمار المؤيد بالجزء الجنوبي منه فتحة ليقوم المكعب الأسفل لمئذنة، وقد ترك المعمار فراغاً بجوار الضلع الداخلي لكل حجرة الذي يطل على البوابة يسمح بالوصول إلى النافذة المطللة على الفراغ بين البرجين، وكان هناك ثلاثة مزاغل بواجهة كل حجرة من الحجرتين اللتين تعلوان البرجين نراها من الخارج فقط، وكذلك يوجد مزغل واحد على الجانب الخارجي ولكل برج سد هو الآخر.

كتابات المؤرخين عن باب زويلة:

أنشد علي بن محمد النيلي واصفاً باب زويلة:

يا صاح لو أبصرت باب زويلة لعلمت قدر محله بنيانا

باب تآزر بالمجرة وارتدى ال شعري ولاث برأسه كيوانا

لو أن فرعوناً رآه لم يرد صرحاً ولا أوصى به هاماناً⁽²⁾

وأخطأ المؤرخ ابن عبد الظاهر عندما ذكر أن باب زويلة هذا بناه العزيز بالله نزار بن المعز وتممه أمير الجيوش⁽³⁾.

(1) عاصم رزق، أطلس العمارة الإسلامية والقبطية بالقاهرة، ج 1، ص 51.

(2) القلقشندي، صبح الأعشى، ج 3، ص 349.

(3) الروضة البهية، ص 17-18.

أبواب القاهرة الثلاثة (النصر، الفتوح، زويلة)

ومن الطرائف التي كتبها المقرئزي عن الباب: "وسمعت غير واحد يذكر أن فرد تيه يدوران في سكرجتين⁽¹⁾ من زجاج⁽²⁾".

وذكر "اليوسفي" جامع سيرة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون أن في سنة 735هـ / 1335م رتب أيدكين - والي القاهرة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون - على باب زويلة خلية⁽³⁾ تضرب كل ليلة بعد العصر⁽⁴⁾.

وأبدى المقرئزي انبهاره بباب زويلة بقوله: "وقد أخبرني من طاف البلاد ورأى مدن المشرق، أنه لم يشاهد في مدينة من المدائن عظم باب زويلة، ولا رأى مثل بدنتيه اللتين عن جانبيه، ومن تأمل الأسطر التي كتبت على أعلاه من خارجه فإنه يجد فيها اسم أمير الجيوش والخليفة المستنصر وتاريخ بنائه⁽⁵⁾".

وقد فقدت مع الزمن الكتابة الخاصة بالنص الإنشائي لباب زويلة والتي شاهدها المقرئزي في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، وما زال مكانها يرى خاليًا الآن⁽⁶⁾. وذكر المقرئزي أن البدنتين (البرجين) الخاصتين بباب زويلة كانتا أزيد مما هما الآن بكثير، وهدم أعلاهما الملك المؤيد شيخ لما أنشأ الجامع داخل باب زويلة، وعمر على البدنتين منارتين⁽⁷⁾.

(1) سكرجه لفظ فارسي معرب معناه هنا أرضية زجاجية لتسهيل انزلاق ضلعتي الباب عليها. ويذكر "محمد عبد الستار" نقلاً عن التيجاني أن أبواب المهدية سبقت باب زويلة في استعمال السكرجة في أحد أبوابها.

موسوعة العمارة الفاطمية، ج 1، ص 21.

(2) الخطط، المجلد الثاني، ص 270.

(3) الخليلية مقصود بها غالباً جوقة أو فرقة من ضاربي الطبول، ويبدو هذا المعنى في عبارة أوردها ابن إياس إذ قال في كتابه: "وفي يوم الأربعاء ثاني شهر ربيع الآخر سنة 776هـ وضع المحتسب الخبز على رءوس عدة من الحمالين، وشق بهم من القاهرة وقدامه الطبول والخليلية إلى أن طلع به إلى القلعة". بدائع الزهور، ج 1، ق 2، ص 137.

(4) اليوسفي (موسى بن محمد بن يحيى المتوفي سنة 759هـ / 1358م)

- نزهة الخطاط في سيرة الملك الناصر، تحقيق أحمد حطيط، نشر عالم الكتب، الطبعة الأولى 1986م، ص 232.

(5) الخطط، المجلد الثاني، ص 270.

(6) تعليق أيمن فؤاد علي الخطط، المجلد الثاني، ص 270.

(7) الخطط، المجلد الثاني، ص 271.

أبواب القاهرة الثلاثة (النصر، الفتوح، زويلة)

قفل وفتح باب زويلة:

كانت أبواب القاهرة في أول العصر الفاطمي تتمتع بحراسة قوية مشددة تدقق في الداخل والخارج منها خصوصاً في وجود أخطار خارجية مثل خطر القرامطة في أول الدولة الفاطمية بمصر.

ويبدو أنه مع الوقت قل الاهتمام بأمر أبواب وذلك لتهدم أجزاء كثيرة من السور المبني بالطوب اللبن، يمر منها الناس.

ولما أعاد أمير الجيوش بدر الجمالي بناء سور القاهرة وأبوابها فيما بين سنتي 480 و485 هـ / 1087 و 1092م عاد الاهتمام بأمر الأبواب وعادت الحراسة إليها، وكانت تحصل بعض الرسوم على أحمال البرسيم والتبن الداخلة للقاهرة من ضواحيها بباب النصر⁽¹⁾.

ونظراً للنشاط التجاري في العصر المملوكي فإن الأبواب كانت مفتوحة دائماً ولا تقفل إلا في حالات الفتن والقتال، فعلى سبيل المثال قفل كل من باب الفتوح وباب النصر عند وقوع فتنة من الأميرين منطاش ويلبغا وقفلا في ثاني جمادي الآخر سنة 791 هـ / 29 مايو 1388م ولكن الأمير أرغون الأيكي استطاع فتح البابين، وأذن للسواد الأعظم من الناس أن يدخلوا إلى القاهرة فدخلوها ونهبوا الدكاكين والبيوت من باب النصر إلى الركن المخلق بالقرب من جامع الأقرم⁽²⁾.

وقام الأمير نوروز الحافظي أمير أخور في آخر أيام السلطان الظاهر برقوق في يوم 12 صفر 801 هـ / 24 أكتوبر 1398م بفتنة وقبض عليه وارتجت المدينة وغلقت الأسواق وحسب الناس أنها فتنة خوفاً من مماليكه، ولكن سكن الحال ونودي بالأمان، إلا أن العقاب كان من نصيب بواب باب زويلة المسكين لأنه أغلق الباب خوف الفتنة بغير إذن الوالي، فضرب بالمقارع وشهّر⁽³⁾.

أما أطول فترة أغلق فيها باب زويلة فكانت لمدة شهر كامل أيام السلطان المؤيد شيخ بدأت يوم السبت 28 ربيع الآخر سنة 821 هـ / 4 يونية 1418م وانتهت آخر يوم الجمعة

(1) ابن اياس، بدائع الزهور، ج 1، ق 2، ص 532.

(2) ابن اياس، بدائع الزهور، ج 1، ق 2، ص 405.

(3) نفسه، ص 513.

أبواب القاهرة الثلاثة (النصر، الفتوح، زويلة)

26 جمادي الأولى سنة 821هـ / أول يوليو 1418م، وكان سبب الغلق سبباً قهرياً خارج عن الإرادة، فقد مالت مئذنة جامع المؤيد التي تعلو البرج الغربي لباب زويلة، كما سقط منها حجر يوم الخميس 26 ربيع الآخر وقتل رجل، فخشي على الأموال والناس، ففكت المئذنة في تلك الفترة وأعيد بنائها⁽¹⁾.

وأقفل باب زويلة أياماً في رمضان سنة 882هـ / ديسمبر 1477م أثناء توسيع الأمير يشيك للشوارع الأعظم وباقي الشوارع بالقاهرة وإزالة المعوقات، وتجميل واجهات المباني، وقد خفض يشيك منسوب الأرض أمام باب زويلة وأظهر عتبة الباب وأصلحها، وصار الناس يدخلون إلى القاهرة من باب الفرج حتى انقضى أمر العمارة⁽²⁾.

وأقفلت أبواب القاهرة الشمالية كلها عندما وردت الأخبار في يوم الأربعاء 28 ذي الحجة 922هـ / 21 يناير 1517م باقتراب وصول عسكر ابن عثمان من القاهرة وكانوا قد وصلوا آنذاك إلى بركة الحاج شمال المطرية⁽³⁾.

وكانت أبواب القاهرة تبيض وتزخرف في حالات النصر على الأعداء مثلما حدث في ربيع الأول سنة 877هـ / أغسطس 1472م عندما قبض الأمير يشبك على سوار أمير إمارة دلغادر (ذي القدر) التركمانية، فأمر السلطان قايتباي بتبيض بابي النصر وزويلة وضرب عليها الرنوك (الشعارات) الذهب⁽⁴⁾.

الإعدام والشنق على باب زويلة:

لما كان هذا الباب وغيره من أبواب القاهرة وقناطرها على خلعجانها تعتبر أكثر الأماكن ارتياداً من الناس، فقد عمد سلاطين المماليك بصفة خاصة بث الرعب في قلوب الناس للسيطرة عليهم، وذلك عن طريق شنق وتعليق رؤوس وأبدان أعدائهم الخارجين، وأيضاً الخارجين عليهم من الأمراء والمماليك والعربان، وكذلك المجرمين من عامة الناس، بتلك الأبواب والقناطر لتكون عبرة لمن يعتبر.

(1) المقرئزي، الخطط، المجلد الرابع، 1، ص 343-344؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج 2، ص 35-36.

(2) ابن إياس، بدائع الزهور، ج 3، ص 138.

(3) نفسه، ج 2، ص 144.

(4) ابن إياس، بدائع الزهور، ج 3، ص 75-76.

أبواب القاهرة الثلاثة (النصر، الفتوح، زويلة)

وأول من سن الإعدام وتعليق الرؤوس المقطوعة والأبدان على باب زويلة هو الحاكم بأمر الله في العصر الفاطمي، فقد ضرب أعناق جماعة عند بابي زويلة لأنهم أكلوا الملوخية التي حرم أكلها في البلاد وذلك لأن عائشة أم المؤمنين كانت تميل إليها⁽¹⁾.

ومن الحالات التي حصرها المؤرخ ابن إياس في العصر المملوكي ما حدث في العاشر من محرم سنة 694 هـ / 30 نوفمبر سنة 1294م، أي في ثاني يوم جلوس كتبغا على عرش السلطنة بمصر، حيث هجم ثلاثمائة مملوك ليلاً على اصطبالات الناس بالقاهرة وأخذوا خيولهم، فلما طلع النهار أرسل كتبغا من قبض على من فعل ذلك من المماليك وقطع أيديهم وطاف بهم القاهرة، ثم صلبهم على باب زويلة⁽²⁾.

وفي سنة 739 هـ / 1338-1339م أمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون بشنق امرأة مجرمة على باب زويلة، كانت تخنق النساء والأطفال وتأخذ ثيابهم، فقبض عليها وشنقت على باب زويلة، وكان لها يوم مشهود لما علقت للشنق⁽³⁾.

وفي سنة 748 هـ / 1347م خرج الأمير يلغا اليحياوي نائب الشام عن طاعة السلطان المظفر حاجي بن الناصر محمد بن قلاوون، فقتله ممالك السلطان هناك وقطعوا رأسه وأرسلوها إلى السلطان بالقاهرة، فرسم بتعليقها على باب زويلة، فعلقت عليه ثلاثة أيام⁽⁴⁾.

وفي سنة 754 هـ / 1353م خرج بعض أمراء الشام عن طاعة السلطان الملك الصالح صلاح الدين صالح بن الناصر محمد بن قلاوون، وأظهروا العصيان، وكان يتزعمهم الأمير بيغاروس نائب حلب ومعه الأمير بكلمش نائب طرابلس وأيضاً الأمير حمد نائب حماه، ولما فشلت محاولتهم هربوا إلى التركمان فقتلوهم وأرسلوا رؤوسهم إلى السلطان، فرسم بأن تعلق على باب زويلة فعلقت عليه ثلاثة أيام⁽⁵⁾.

(1) بدائع الزهور، ج1، ق1، ص199.

(2) بدائع الزهور، ج1، ق1، ص385.

(3) بدائع الزهور، ج1، ق1، ص476.

(4) بدائع الزهور، ج1، ق1، ص515.

(5) بدائع الزهور، ج1، ق1، ص549.

أبواب القاهرة الثلاثة (النصر، الفتوح، زويلة)

وفي أثناء سلطنة الملك المنصور نور الدين علي بن الأشرف شعبان، هاجم كنوز النوبة أسوان، فتصدى لهم الأمير قرط متولي أسوان وانتصر عليهم، وقدم للقاهرة في رجب 780هـ / أكتوبر ونوفمبر 1378م رؤوس أمراء أولاد الكنز، فعلقت تلك الرؤوس على باب زويلة، ولم يعهد بمثل هذا قبل ذلك، وأحضر من رجال الكنز مائتي رجل في الحديد، فسجنوا في خزانة شمائل⁽¹⁾.

وفي أيام المنصور علي أيضًا، في رجب 782هـ / أكتوبر 1380م قتل ممالك الأمير بركة الأمير خليل بن عرام نائب الاسكندرية، وقطعوا رأسه وأرسلوها إلى القاهرة فعلقت على باب زويلة⁽²⁾.

وفي شعبان 795هـ / 1393م رسم السلطان الملك الظاهر برقوق بأن تعلق رأس الأتابكي منطاش الخارج عليه على باب زويلة فعلقت بها ثلاثة أيام ثم دفنت⁽³⁾.

وفي أوائل سلطنة الملك الناصر فرج بن برقوق كثرت فتن المماليك وأمرائهم في كل من مصر والشام، وخرج الأمير تنم نائب الشام عن الطاعة، وهرب الأتابكي أيتمش من القاهرة وانضم إليه في الشام، فخرج السلطان فرج لقتالهم بالشام وانتصر عليهم، وفي ليلة 14 شعبان 802هـ / 10 إبريل 1400م ذبح السلطان بقلعة دمشق أربعة عشر أميرًا منهم الأمير أيتمش البجاسي الأتابكي، والأمير فارس حاجب الحجاب، وفي 19 شعبان / 15 إبريل وصل البريد من دمشق برأس أيتمش وفارس فعلقتا على باب قلعة الجبل، ونقلتا من الغد إلى باب زويلة وعلقتا عليه إلى 23 شعبان 802هـ / 19 إبريل 1400م، ثم دفنت رأس أيتمش بمدرسته بباب الوزير بالقاهرة⁽⁴⁾.

وفي يوم الجمعة 19 ذي الحجة 809هـ / 27 مايو 1407م وسّط⁽⁵⁾ السلطان فرج ابن التركية من شيوخ عربان البحيرة لخروجه على الطاعة، وعلق رأسه على باب زويلة⁽⁶⁾، وفي

(1) بدائع الزهور، ج 1، ق 2، ص 232.

(2) بدائع الزهور، ج 1، ق 2، ص 275.

(3) بدائع الزهور، ج 1، ق 2، ص 460.

(4) بدائع الزهور، ج 1، ق 2، ص 582، 583.

(5) وسط أي قطع وسطه بالسيف.

(6) بدائع الزهور، ج 1، ق 2، ص 771.

أبواب القاهرة الثلاثة (النصر، الفتوح، زويلة)

يوم الجمعة 18 محرم 810 هـ / 24 يونية 1407م قدم حاجب الأمير نعيم إلى القاهرة ومعه رأس الأمير جكم العوضي نائب حلب الذي تمرد بالشام وأعلن نفسه سلطاناً، ورأس ابن شهري بعد قتلها، فخلع عليه ودقت البشائر لذلك، وطيف بالرأسين على رحمين ونودي عليهما في القاهرة، ثم علقتا على باب زويلة، ونودي بالزينة، فزينت القاهرة ومصر سبعة أيام والرأس معلقة⁽¹⁾.

وفي أثناء سلطنة المؤيد شيخ، في ربيع الآخر 817 هـ / يونية - يولية 1414م حضر إلى القاهرة الأمير جرباش قاشق، وعلى يده رأس نوروز الحافظي نائب الشام، وقد غدر به شيخ وقتله، فلما وصلت رأس نوروز إلى القاهرة رجت لها، ونودي بالزينة، فزينت سبعة أيام، وعلقت رأس نوروز على باب زويلة ثلاثة أيام⁽²⁾.

وفي جمادي الآخرة سنة 818 هـ / أغسطس 1415م أظهر الأمير قاني باي المحمدي نائب الشام العصيان، فخرج إليه السلطان شيخ علي رأس جيشه، فهرب قاني باي إلى حلب، فقبض عليه بعض التركمان وسلموه للمؤيد، فأمر بقتله هو ومن أيده من الأمراء، ثم أمر السلطان بجزء رؤوسهم، وبعث بها إلى القاهرة في شهر شعبان، فطيف بها، ثم دفنت رأس قاني باي في مدرسته، وفي شهر رمضان وصلت بقية رؤوس النواب الذين خامروا مع قاني باي، فعلقوا على رماح، وطيف بهم القاهرة، ثم علقت على باب زويلة ثلاثة أيام⁽³⁾.

وفي أثناء سلطنة الأشرف برسباي، كان الأمير عثمان قرايلك أمير إحدى الدويلات التركمانية كثير العدا للسلطنة المملوكية ويغير على أرضها بنواحي حلب، ولما مات غرقاً في نهر بإقليم الجزيرة بأعالي الفرات أثناء معاركه مع إسكندر بن قسرا يوسف سلطان بغداد وما حولها بعث إسكندر برأس عثمان قرايلك ورأس ولديه وثلاثة رؤوس أخرى من أمرائه إلى السلطان برسباي فوصلت يوم الخميس 18 ربيع الآخر 839 هـ / 10 نوفمبر 1435م، فطيف بالرؤوس الستة على رماح، وقد زينت القاهرة فرحاً بقتل قرايلك ثم علقت على باب زويلة ثلاثة أيام ودفنت⁽⁴⁾.

(1) بدائع الزهور، ج 1، ق 2، ص 777.

(2) بدائع الزهور، ج 2، ص 14.

(3) بدائع الزهور، ج 2، ص 22-24.

(4) المقرئزي، السلوك، ج 4، ص 963؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج 2، ص 166.

أبواب القاهرة الثلاثة (النصر، الفتوح، زويلة)

وفي يوم الجمعة 3 صفر 840 هـ / 17 أغسطس 1436م قدم على السلطان برسباي قاصد نائب حلب برأسي الأمير قدمش الأعور والأمير كمشبعغا أمير عشرة الخارجان عن الطاعة واللذان كانا منضمين للأمير جانبل الصوفي عدو السلطان برسباي الأول، وقبض عليهما الأمير خجا سودون في معركة بعينتاب وقطع رأسيهما وأرسلهما للسلطان، فشهرا الرأسان بالقاهرة وعلقتا بباب زويلة ثم ألقيا في سراب الأقدار بأمر السلطان ولم يدفنا⁽¹⁾.

وكان أصل المشكلة أنه عقب وفاة السلطان الملك الظاهر ططر وتولى ابنه الصغير الملك الصالح ناصر الدين محمد السلطنة بعده في يوم الأحد 4 ذي الحجة سنة 824 هـ / 30 نوفمبر 1421م، تصارع على التحكم في الدولة الأميرين الكبير جاني بك الصوفي أتاكب العسكرة، وبرسباي الدقماقي الدوادار الكبير، وانهزم جاني بك الصوفي وسجن بالإسكندرية ثم فر إلى إمارة ذي القادر التركمانية، وظل جاني بك يؤلب التركمان وغيرهم على سلطنة المماليك، إلى أن قتله أولاد قرا بلوك بن تيمور لنك وحزوا رأسه وبعثوها إلى نائب حلب فبعثها إلى السلطان برسباي فوصلت يوم السبت 17 في جمادي الأولى سنة 841 هـ / 16 نوفمبر 1437م، فطيف بها في القاهرة وعلقت على باب زويلة ثلاثة أيام⁽²⁾.

ولما تولى السلطنة الظاهر جقمق بعد انقلابه على السلطان العزيز يوسف بن برسباي في 17 ربيع أول 842 هـ / 7 سبتمبر 1440م، أعلن كل من إينال الحكمي نائب الشام وتغري برمش نائب حلب العصيان، ولكن حركتها انتهت بالفشل وقتل إينال وبعثت رأسه للقاهرة في ذي القعدة 842 هـ / أبريل - مايو 1439م، طيف بها على رمح وعلقت على باب زويلة أياماً⁽³⁾، وفي الشهر التالي وصلت رأس تغري برمش ففعل بها مثلما فعل برأس صاحبه⁽⁴⁾.

وفي أيام السلطان الأشرف إينال قتل سنقر الزردكاش بطرسوس، وأرسل نائبها رأسه إلى إينال في محرم سنة 861 هـ / ديسمبر 1456م، فطيف بها وعلقت على باب زويلة ثلاثة أيام⁽⁵⁾.

(1) المقرئزي، السلوك، ج 4، ص 995؛ ابن حجر، انباء الغمر، ج 4، ص 39؛ العيني، عقد الجمان، ص 482؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 15، ص 80.

(2) المقرئزي، السلوك، ج 4، ص 1023-1024؛ ابن حجر، انباء الغمر، ج 4، ص 69-70؛ العيني، عقد الجمان، ص 495؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج 2، ص 178-179.

(3) بدائع الزهور، ج 2، ص 215.

(4) بدائع الزهور، ج 2، ص 216.

(5) بدائع الزهور، ج 2، ص 336-337.

أبواب القاهرة الثلاثة (النصر، الفتوح، زويلة)

وفي أيام السلطان الظاهر تمربغا، وصلت رأس جهان شاه ملك العراقين وصاحب أذربيجان إلى القاهرة في جمادي الأولى 872 هـ / ديسمبر 1467م، وقد قتله حسن الطويل صاحب ديار بكر، فرسم السلطان تمربغا بأن تعلق على باب زويلة ثلاثة أيام فعلمت⁽¹⁾.

وفي سلطنة الأشرف قايتباي بعث نائب حلب في ذي القعدة 873 هـ / مايو يونية 1469م رأس مال باي الأقطع أخو سوار صاحب إمارة ذي الدر (ذلغادر) ومعها رأسين من أمراته، فلما حضرت تلك الرؤوس طيف بها في القاهرة، ثم علقت على باب زويلة وباب النصر⁽²⁾، وأتت نهاية شاه سوار نفسه صاحب ذي الغادر الذي ناصب السلطنة المملوكية العدا على يد الأمير يشبك الدوادر حيث أسره وجاء به إلى القاهرة وسط تهليل وفرح كبير بأسره لما اقترفه، وشنق على باب زويلة يوم الإثنين 18 ربيع الأول 877 هـ / 24 أغسطس 1472م وعلقوا أخاه يحيى كاور عن يمينه وأخاه أردوانه عن شماله، وعلقوا أخاه خدادا داخل الباب، وفي واقعة سوار يقول الشهاب المنصوري:

يا أيها الملك الذي سطواته تغني عن العسال والبتار
علق سوارا فوق باب زويلة إن كنت منه آخذا بالبتار
فلأنت تعلم أن ذلك معصم ما كنت تتركه بغير سوار
وقوله أيضًا في الأمير يشبلي لما حضر إلى القاهرة وصحبته سوار:

منذ وفا الأمير يشبك مصرًا جندا مصر — موطن الاوطار
لبست حجل نيلها وتحلى زندا بابي زويلة بسوار

والحجل هو الخلخال⁽³⁾.

وفي رمضان 877 هـ / فبراير 1473م صلبت على باب زويلة جارية سوداء قد قتلت سيدتها، فأمر القاضي المالكي اللقاني بصلبها حتى تموت⁽⁴⁾.

(1) بدائع الزهور، ج2، ص 471.

(2) بدائع الزهور، ج3، ص 32-33.

(3) بدائع الزهور، ج2، ص 76-79.

(4) بدائع الزهور، ج3، ص 83.

أبواب القاهرة الثلاثة (النصر، الفتوح، زويلة)

وفي المحرم 882 هـ / أبريل - مايو 1477م طيف بالقاهرة رأس أحد المتمردين بالصعيد، ثم علقت على باب زويلة⁽¹⁾، وفي ربيع الأول 883هـ/ يونيو 1478م قاد الأمير يشبك حملة عسكرية لتأديب عربان هواره، وانتصر عليهم وبعث برأس يونس بن عمر أمير عربان هواره إلى القاهرة فطيف بها وعلقت على باب زويلة أياماً⁽²⁾، وفي جمادي الآخرة / سبتمبر عرض على السلطان قايتباي سبعة أنفار من عربان هواره فيهم أحمد بن عمر أخو يونس، فأركبهم على جمال ونزلوا بهم من القلعة وأتوا بهم إلى باب زويلة، فكبّلوهم وعلقوهم على الباب، ووسطوا منهم جماعة وكان لهم يوم مشهود⁽³⁾.

وقاد الأتابكي قانصوه خمسمائة انقلاباً على الناصر محمد بن قايتباي ولكن محاولته فشلت، وعلقت رأسه وبعض حلفائه على باب زويلة وباب النصر في رجب 902 هـ / مارس 1497م، واستمرت الكوسات تدق بالقلعة سبعة أيام وكذلك في بيوت الأمراء المقدمين⁽⁴⁾، وبعد ذلك قاد أقبردي الدوادار انقلاباً آخر على الناصر محمد بن قايتباي، وبعد مدة طويلة من الصراع قتل أقبردي في الشام، وفي شوال 903 هـ / مايو - يونيو 1498 وصل سودون الدواداري وصحبته واحد وثلاثين رأساً ممن كانوا في عصبة أقبردي، فأمر الناصر محمد بتعليقها على أبواب المدينة وتعلقت رأس اينال نائب حلب على باب زويلة⁽⁵⁾.

وفي شعبان 904 هـ / مارس 1499م، أرسل السلطان الملك الظاهر أبو سعيد قانصوه حملة بقيادة طومان باي الدوادار لتأديب عربان هواره، فهزمهم وأرسل راس حميد بن عمر أميرهم إلى القاهرة فعلمت على باب زويلة ثلاثة أيام⁽⁶⁾. وفي ربيع الآخر 905 هـ/ نوفمبر 1499م قبض على سليمان بن قرطام وكان من كبار المفسدين بالشرقية، فلما قبض عليه رسم السلطان الظاهر أبو سعيد قانصوه بأن يشنكلوه على باب زويلة وأقام معلقاً ثلاثة أيام بلياليها⁽⁷⁾.

(1) بدائع الزهور، ج2، ص 126.

(2) بدائع الزهور، ج2، ص 146.

(3) بدائع الزهور، ج2، ص 147.

(4) بدائع الزهور، ج2، ص 154.

(5) بدائع الزهور، ج3، ص 391-392.

(6) بدائع الزهور، ج3، ص 410.

(7) بدائع الزهور، ج3، ص 427.

أبواب القاهرة الثلاثة (النصر، الفتوح، زويلة)

أما أول أمر بالشنق أصدره السلطان قانصوه الغوري في سلطنته، فقد أصدره ضد شخص من أهل حلب انكسر عليه مال، فشنقه على باب زويلة في ربيع الآخر سنة 908 هـ / أكتوبر 1502م⁽¹⁾، وفي جمادي الآخرة / ديسمبر من نفس السنة رسم بشنق شيخ من مشايخ عربان بني وائل يقال له شرف الدين بن موسى، فشنق على باب زويلة⁽²⁾.

وفي المحرم سنة 909 هـ / يولية 1503م قبض شيخ العرب نجم على شخص من العرب العصاة من مشايخ بني حرام يقال له علاء الدين بن قرطام، فلما قبض عليه من جبل الطور قطع رأسه وأرسلها إلى القاهرة، فطيف بها، وعلقت على باب زويلة.

وفي يوم الاثنين 23 محرم 909 هـ / 17 يوليو 1503م رسم السلطان المغوري بشنق علي ابن أي الجود المتحدث في أموال السلطان وناظر الأوقاف، فشنق على باب زويلة واستمر معلقًا ثلاثة أيام حتى تنن وجاف⁽³⁾.

وفي ذي القعدة 909 هـ / إبريل - مايو 1504م أرسل أقباي كاشف الشرقية رأس ابن يسار وهو من شرار عربان الشرقية، فرسم الغوري بتعليقها على باب زويلة، وفي عقب ذلك قبض أقباي أيضًا على شخص من العربان المفسدين يقال له ابن بهيج، فلما قبض عليه بعث به للسلطان، فرسم بشنقه فشنق على باب النصر⁽⁴⁾.

وفي جمادي الأولى 912 هـ / سبتمبر - أكتوبر 1506م رسم السلطان الغوري بشنق شخص يسمى عمر كان مباشرًا بالواح (الواحاح) فشنق على باب زويلة، وشنق معه شخص آخر يسمى الشيخ حسن من مباشري ألواح أيضًا⁽⁵⁾.

وفي يوم الثلاثاء 6 جمادي الآخرة 913 هـ / 12 أكتوبر 1507م أرسل على دولات بن ذلغادر أمير التركمان عدة رعوس ممن قتل من عسكر إسماعيل الصوفي شاه الدولة الصفوية وفيهم شخص من أمرائه بالحياة وعلى رأسه طرطور أحمر، فلما عرضوا على السلطان سر هذه الواقعة وأمر بأن تعلق تلك الرؤوس على باب زويلة⁽⁶⁾.

(1) بدائع الزهور، ج4، ص 42.

(2) بدائع الزهور، ج4، ص 46.

(3) بدائع الزهور، ج4، ص 55.

(4) بدائع الزهور، ج4، ص 63.

(5) بدائع الزهور، ج4، ص 100.

(6) بدائع الزهور، ج4، ص 121-122.

أبواب القاهرة الثلاثة (النصر، الفتوح، زويلة)

وفي جمادي الأولى 915 هـ / أغسطس - سبتمبر 1509م رسم السلطان بشنق شخص زغلي (هو الغاش للعملات) فشنق على باب زويلة⁽¹⁾.

وفي ذي الحجة سنة 922 هـ / يناير 1517م في أثناء زحف العثمانيين على مصر، وقبيل معركة الريدانية، كان العربان يقبضون على من يلوح لهم من العثمانية ويقطعون رءوسهم ويحضرونها إلى بين يدي السلطان طومان باي، فيرسم بأن تعلق على بان النصر وباب زويلة⁽²⁾، كما أرسل السلطان مع دوادار الوالي رأسين مقطوعة زعموا أن أحدهما رأس إبراهيم السمرقندي، والأخرى رأس أمير من أمراء ابن عثمان فعلقوهما على دكان عند باب زويلة⁽³⁾.

أما أشهر من شنق على باب زويلة فهو السلطان الملك الأشرف طومان باي آخر سلاطين دولة المماليك، فبعد هزيمة المماليك بقيادة سلطانهم قانصوه الغوري من العثمانيين بقيادة سلطانهم سليم الأول، وقتل الغوري في معركة مرج دابق بالقرب من حلب وفقد جثته في يوم الأحد 25 رجب 922 هـ⁽⁴⁾ / 24 أغسطس 1516م، اختار أمراء المماليك الأمير طومان باي نائب الغيبة سلطاناً على مصر، ومرة أخرى انتصر العثمانيون بقيادة سليم الأول على المماليك بقيادة طومان باي في موقعة الريدانية يوم الخميس 29 ذي الحجة 922 هـ⁽⁵⁾ / 23 يناير 1517م وبعد هروب طومان باي وقيادته للمقاومة ضد العثمانيين تم القبض عليه، ثم أمر سليم بشنقه على باب زويلة فشنق يوم الاثنين 22 ربيع الأول 923 هـ⁽⁶⁾ / 13 إبريل 1517م.

وقال ابن إياس في ذلك الحدث: " فلما بلغ ابن عثمان أن الناس لا تصدق بمسك طومان باي فحنق من ذلك وعدى به، فلما طلع من بولاق شق من المقس وقدامه نحو أربعمائة عثماني ورماة بالنفط، فطلع من على سوق مرجوش وشق من القاهرة، فجعل يسلم على الناس بطول الطريق حتى وصل إلى باب زويلة وهو لا يدري ما يُصنع به، فلما أتى إلى

(1) بدائع الزهور، ج4، ص 160.

(2) ابن إياس، بدائع الزهور، ج5، ص 142.

(3) بدائع الزهور، ج5، ص 143.

(4) ابن إياس، بدائع الزهور، ج5، ص 68-71.

(5) بدائع الزهور، ج5، ص 144-147.

(6) ابن إياس، بدائع الزهور، ج5، ص 175.

أبواب القاهرة الثلاثة (النصر، الفتوح، زويلة)

باب زويلة أنزلوه من على الفرس وأرخوا له الحبال ووقفت حوله العثمانية بالسيوف، فلما تحقق أنه يشنق وقف على أقدامه على باب زويلة، وقال للناس الذين حوله: أقرأوا لي سورة الفاتحة ثلاث مرات، ثم قال للمشاعلي: إعمل شغلك. فلما وضعوا الحية في رقبته ورفعوا الحبل فانقطع به فسقط على عتبة باب زويلة، وقيل انقطع به الحبل مرتين وهو يقع إلى الأرض، ثم شنقوه وهو مكشوف الرأس، وعلى جسده شاياه جوخ أحمر، وفوقها ملوطة بيضاء بأكمام كبار، وفي رجله لباس جوخ أزرق.

فلما شنق وطلعت روحه صرخت عليه الناس صرخة عظيمة وكثر عليه الحزن والأسف، فإنه كان شابا حسن الشكل سنه نحو أربع وأربعين سنة، وكان شجاعاً بطلاً تصدى لقتال ابن عثمان وثبت وقت الحرب وحده بنفسه، وفتك في عسكر ابن عثمان وقتل منهم ما لا يحصى، وكسرهم ثلاث مرات في نفر قليل من عسكره، ووقع منه في الحرب أمور ما لا تتع من الأبطال..⁽¹⁾.

وقال ابن إياس من أبيات له:

لهفى على سلطان مصر - كيف قد ولى وزال كأنه - لن يذكر

شنقوه ظلما فوق باب زويلة ولقد أذاقوه الوبال الأكبر

يارب فاعف عن عظائم جرمه واجعل بجنات النعيم له قرا⁽²⁾

وظل الشنق على باب زويلة في أول حكم العثمانيين مصر، ففي يوم السبت 4 شعبان 923هـ / 22 أغسطس 1517م، أمر السلطان سليم بشنق جماعة كثيرة من عسكره منهم اثنين على باب زويلة⁽³⁾.

وفي يوم الأحد 23 شوال 923 هـ / 8 نوفمبر 1517م قبض الوالي على خمسة أنفار من العثمانية أشيع عنهم أنهم يخطفون العمائم ويعرون الناس في الطرقات، وأنهم يخطفون النساء والصبيان المرء، وأنهم تزايد منهم الفساد، فلما قبض عليهم رسم سنان باشا أحد أمراء ابن

(1) بدائع الزهور، ج5، ص 176.

(2) بدائع الزهور، ج5، ص 177.

(3) بدائع الزهور، ج5، ص 202.

أبواب القاهرة الثلاثة (النصر، الفتوح، زويلة)

عثمان بأن يشنقوا، فشنت منهم أثنان على باب زويلة وواحد على باب الشعرية، وأما الاثنان فقد شفع فيهما من الشنتق من ذلك اليوم فسجنا⁽¹⁾.

وفي يوم السبت 16 رجب 924 هـ / 24 يوليو 1518 م أمر ملك الأمراء خاير بك بشنتق شخص عجمي على باب زويلة طمعاً في ماله الكثير مدعيًا أنه جاسوس للشاه إسماعيل الصفوي⁽²⁾، وفي يوم الأحد 17 ربيع الآخر 925 هـ / 17 إبريل 1519 م أمر ملك الأمراء بشنتق المملوك الذي قتل شيخ العرب علي الأسمر بن أبي الشوارب، على باب زويلة⁽³⁾.
وفي يوم الثلاثاء 10 صفر 926 هـ / 31 يناير 1520 م أمر ملك الأمراء بتعليق رأس 12 شخصًا من أعيان عربان السوالم على بابي زويلة والنصر⁽⁴⁾.

وفي جمادي الأولى 926 هـ / إبريل - مايو 1520 م أرسل ملك الأمراء بالقبض على شخص يسمى محرات، مقدم كاشف الغربية، وقد كثرت فيه الشكاوي من الناس، وأشيع عنه أنه ضرب شخصًا من الفلاحين حتى مات تحت الضرب، فلما مثل بين يدي ملك الأمراء رسم بتوسيطه، فوسطوه عند باب زويلة⁽⁵⁾.

وفي شعبان 926 هـ / يوليو - أغسطس 1520 م أمر ملك الأمراء بشنتق صيرفي زاد في سعر صرف العملة فشنتق على باب زويلة⁽⁶⁾.

ومن الحوادث الشنيعة أن ملك الأمراء في يوم السبت 14 ربيع آخر 927 هـ / 26 مارس 1521 م أمر بتعليق رؤوس ثلاثة من أعيان المماليك الجراكسة على باب زويلة، منهم شخص يسمى ماماى الساقى وشخص يسمى ماماى الخازندار وشخص يسمى قنبك الأشقر وهم من مماليك السلطان الغوري، وذلك لانضمامهم إلى الغزالي لما أعلن تسلطه بالشام⁽⁷⁾.

(1) بدائع الزهور، ج5، ص 219.

(2) بدائع الزهور، ج5، ص 263.

(3) بدائع الزهور، ج5، ص 300.

(4) بدائع الزهور، ج5، ص 325.

(5) بدائع الزهور، ج5، ص 333.

(6) بدائع الزهور، ج5، ص 344.

(7) بدائع الزهور، ج5، ص 387-388.

أبواب القاهرة الثلاثة (النصر، الفتوح، زويلة)

مساجلة الشعراء في ميل المنذنة فوق البرج الغربي لباب زويلة

في أواخر سنة 820 هـ / 1417 م بدأت المنذنة التي تقع على البرج الغربي لباب زويلة بالميل، وازداد الميل مع الوقت، واشتد خوف الناس منها، وفي يوم 19 ربيع الآخر سنة 821 هـ / 26 مايو 1418 م بالتحديد اشتد ميلها⁽¹⁾، وكادت تسقط فكثرت وجل الناس وخوفهم وتحولوا من حواليتها وتحاشوا المرور أسفلها، فعابها المهندسون وكتبوا محضراً بوجوب هدمها وعرض على السلطان فرسم بهدمها، وصفح السلطان عن الذين تولوا بناءها وعاملهم بالحلم على غير العادة بعد أن أشيع أنه يغرمهم جميع ما أنفق عليها وهو أربعة آلاف دينار⁽²⁾.
فوقع الشروع في الهدم يوم الثلاثاء 24 ربيع الآخر 821 هـ / 31 مايو 1418 م، وبعد يومين سقط حجر هدم ملكاً تجاه باب زويلة هلك تحته رجل اسمه علي بن صديق المنير⁽³⁾، فأمر بغلق باب زويلة فغلق خوفاً على المارة من يوم السبت ثامن عشر منه واستمر مغلقاً مدة شهر وهي مدة هدم المنذنة، ولم يعهد أن وقع مثل هذا قط منذ بنيت القاهرة وعظم ذلك على الناس، وأعيد فتح الباب يوم الجمعة 26 جمادى الأولى 821 هـ⁽⁴⁾، وقد ذكر المؤرخ ابن تغري بردي أن السبب في ميل هذه المنذنة وهدمها أنها بنيت من أسفلها بحجر صغير وأعلىها بحجر كبير فتسبب ذلك في ميلها⁽⁵⁾.

وكعادة الشعراء والأدباء يؤرخون للحوادث السياسية والاجتماعية شعراً، فتفتحت قرائحهم في هذا الموضوع وتباروا في ذكره، ومن أوائل ما تفاعل مع ميل المنذنة حافظ الوقت شهاب الدين أحمد بن حجر فأنشد في مجلس المؤيد:
لجامع مولانا المؤيد رونق منارته بالحسن تزهو وبالزین

(1) المقرئزي، السلوك، ج 4، ص 444.

(2) العيني، عقد الجمان، ص 306.

(3) السخاوي، تحفة الأحياب وبيغة الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقات المباركات، الطبعة الثانية، مكتبة الكليات الأزهرية بالأزهر، 1406 هـ / 1986 م، ص 82.

(4) المقرئزي، الخطط، تحقيق أيمن فؤاد، مج 4، ص 343-344.

(5) النجوم الزاهرة، ج 14، ص 76.

أبواب القاهرة الثلاثة (النصر، الفتوح، زويلة)

تقول وقد مالت عن القصد أمهلوا فليس على جسمي أضر من العين⁽¹⁾
فتحدث الناس أنه في قوله العين قصد التورية لتخدم في العين التي تصيب الأشياء
فتتلفها، وفي الشيخ بدر الدين العيني⁽²⁾ الذي كان منافسًا له، فقال المذكور يعارضه:
منارة كعروس الحسن إذ جليت وهدمها بقضاء الله والقدر
قالوا أصيبت بعين قلت ذا غلط ما أوجب الهدم إلا خسة الحجر
يعرض بالشهاب بن حجر⁽³⁾.

وعلق بن حجر على ذلك بأن العيني استعان بالشيخ العلامة كمال الدين النواجي الذي
نظم له هذين البيتين ردًا عليه لأنه لا يحسن الشعر⁽⁴⁾. وذكر الرحالة النابلسي الذي زار
الجامع المؤيدي يوم الجمعة 11 جمادى الأولى سنة 1105هـ / 8 يناير 1695م أثناء زيارته
لمصر أن الحافظ ابن حجر لما سمع هذين البيتين عمل رسالة في تكفير من أنكر إصابة العين
للأشياء لورود الأحاديث الصحيحة في صحة ذلك⁽⁵⁾.

ويدلي مؤرخنا المقرئ بدلوله في ذلك الموضوع ويقول: "كل منهما لم يصب الغرض،
فإن العيني بدر الدين محمود ناظر الأحباس والشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر، كل منهما
ليس له في المثذبة تعلق حتى تخدم التورية، وأفعد منهما بالتورية من قال:
على البرج من باب زويلة أسست منارة بيت الله والمعهد المنجي
فأخلى بها البرج اللعين أمالها أفاصرخوا ياقوم باللعن للبرج

وذلك أن الذي ولي تدبير أمر الجامع المؤيدي هذا وولي نظر عمارته بهاء الدين محمد بن
البرجي، فخدمت التورية في البرجي كما ترى⁽⁶⁾". وقد نسب ابن حجر هذين البيتين لتقي
الدين بن حجة⁽⁷⁾، بينما نسبهما العيني إلى شعبان الآثاري⁽⁸⁾.

(1) ابن حجر، إنباء الغمر، ج 3، ص 145.

(2) المقرئ، الخطط، تحقيق، أيمن فؤاد، مج 4، ص 343.

(3) المقرئ، الخطط، تحقيق أيمن فؤاد، مج 4، ص 344.

(4) إنباء الغمر، ج 3، ص 145.

(5) الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986م، ص 228.

(6) الخطط، مج 4، ص 344.

(7) إنباء الغمر، ج 3، ص 145.

(8) عقد الجمان، ص 306.

أبواب القاهرة الثلاثة (النصر، الفتوح، زويلة)

وتداول هذا الناس، وتتابع الشعراء في المساجلة فقال شعبان الأثاري:
عتبنا على ميل المنار زويلة وقلنا تركت الناس بالميل في هرج
فقال قريني برج نحس أمالتي فلا بارك الله في ذلك البرج⁽¹⁾
وقال الأديب شمس الدين الجوجري:
منارة لثواب الله قد ينبت فكيف هدت فقالوا انوضح الخبرا
أصاب العين أحجارًا بها انفلقت ونظرة العين قالوا تفلق الحجر⁽²⁾
وقال آخر:
منارة قد هدمت بالقضا والناس في هرج وفي رهج
أمالها البرج فمالت به فلعنة الله على البرج⁽³⁾
وينتقد نجم الدين ابن النبيه كل الأسباب التي قيلت في هدم المتذنة من الإصابة بالعين
وعيب الحجارة وفساد البرجي قائلاً:
يقولون في ميل المنارة تواضعٌ وعين وأقوال وعنددي جليها
فلا البرج أخنى والحجارة لم تعب ولكن عروس أثقلتها حليها
ولا بن النبيه أيضاً:
بجامع مولانا المؤيد انشئت عروس سمت ما خلت قط مثلها
وإذا علمت أنه لا نظير لها انثت وأعجبها والعجب عنا أمالها⁽⁴⁾

(1) الخطط، مج 4، ص 344؛ إنباء الغمر، ج 3، ص 145؛ عقد الجمان، ص 306.

(2) الخطط، مج 4، ص 344.

(3) الخطط، مج 4، ص 346.

(4) إنباء الغمر، ج 3، ص 146.